

## حدائق بغداد... (٢-٢)

تهتم الدول المتحضرة بالحدائق العامة كونها تصفي مظهرها جمالياً بشي بالنوع الثقافي والاجتماعي لتلك الدول . ولا شك أن تصميم الحدائق بات علماً من العلوم الجمالية التي استقطبت المعماريين والمهندسين والباحثين والفنانين بمختلف اتجاهاتهم المدرسية ؛ فالحدائق صنو الجمال والتحضّر في نهاية الأمر . ولا شك أن الحدائق العراقية عانت من غياب تقاليد كثيرة على مر عصورها ؛ جمالياً وعلمياً ؛ ولم تترك أثراً كبيراً في الذاكرة الهندسية سوى واحدة عُدت من عجائب العالم القديمة وهي حدائق بابل التاريخية . وفي هذا الملف ننير شيئاً من هذه الموضوعات التي تجاهلتها أمانة العاصمة في كثير من انشطتها عبر محورين ، الأول المحور الميداني الذي يقينا عليه الضوء في تحقيقي يوم امس ، والثاني المحور النظري الذي نشره غدا ...

### حضارة الحدائق على مر العصور

# الحدائق العراقية ليس لها تاريخ رافق التحولات الاجتماعية والسياسية

- ♦ كانت بغداد في الاربعينيات حديقة زاهية بالالوان ..
- ♦ يلتصق الانسان بالطبيعة كلما باعدته التكنولوجيا عن الحياة ..



حدائق بابل التاريخية

للحدائق الفرنسية هي وجود مساحة شاسعة أمام المباني تمتد من بعد الحدائق باتجاه البساطة في محاور التصميم على أن يكون هناك محور أساسي تتعامد عليه محاور ثانوية وفي زوايا المحاور تكون هناك تابلوهات أرضية منسقة بالتماثل والناظورات والتكرير على أهمية المحور الأساسي ورؤية العين له على امتداد النظر رغم اختلاف في وحدات التناظر وهو نفس التصميم الذي استند إليه الملك "لويس الرابع عشر" في بناء حدائق فرساي.

#### ويعد كل هذا ...!

بعد كل هذا نجد أن فن الحدائق من الفنون القديمة التي رافقت مشاوير الإنسان في حياته الطويلة ، وإذا كان التاريخ قاسياً في كثير من لحظاته عندما أغفل فريقاً من المصممين المبدعين الذين وثقوا ثقافات الشعوب الميدانية والجمالية في إرساء نظام الحدائق ، فإن التاريخ نفسه حفظ أيضاً في أوقات متعاقبة أسماء مهندسين وفنيين وفنانين ومعماريين تمكنوا من توثيق الجمالي المعماري الفني في أروع صفحاته التصميمية الجذيلة ، وإن كنا خاضعين لسلطة المسلكية في التعامل الميداني منذ وقت طويل ، نرى الآن أن الوقت مناسب لأن نتفض أمانة العاصمة في بغداد

#### حدائق الحدائق

تعتبر حديقة يوان مينغ يوان أشهر الحدائق الإمبراطورية الصينية ويطلق عليها لقب "حديقة الحدائق". جمعت الحدائق مختلف فنون بناء الحدائق في كل أنحاء الصين واستفادت من بعض الأنماط المعمارية الغربية. ولم تكن حديقة يوان مينغ يوان أجمل استراحة إمبراطورية في الصين فحسب، بل ذاع صيتها في أوروبا أيضاً، ولها تأثيرات أجددة على تطور الحدائق الطبيعية الأوروبية في القرن الثامن عشر. ومن المؤسف أن حديقة يوان مينغ يوان أحرقت ودمرت في عام ١٨٦٠ من قبل قوات التحالف البريطانية والفرنسية الغازية.



حديقة بنظام جمالي بارز

البساط الملكي للحفاظ على مظاهر القوة والجاه.

#### فلسفة الحدائق

تاريخ الحدائق الإنجليزية من مرحلتين، مرحلة الاقتباس ثم مرحلة التفرد والإبداع فالأولى أثمرت عنها الحدائق المتناظرة أما الثانية فأنتمت عنها الحدائق الطبيعية ، ويرجع الحدائق الرومانية حدث ركود في الفن الحدائقي واقتصر على الأديرة التي كانت تنحصر الحاجات فيها في تربية الأسماك وزراعة الكروم والخضراوات من أجل الغذاء والأعشاب للعلاج والزهور التي كانت تحضرها من أجل الترفيه أو الترفيع أو الغرض الديني منها. وكان الغرض من إنشاء الحدائق الصينية هو التأمل للفلاسفة والمفكرين ليصبحوا في عزلة عن الناس، إذا جاء تصميمها يساعد على هذا التأمل وطول التمتع بالمنظر الذي يقع عليه البصر، والحدائق اليابانية في العصور الوسطى تجمع بين الأشكال الطبيعية والأشكال الهندسية وتتميز بوجود ثلاثة أشكال هي: الحدائق المنبسطة التي تستخدم في المساحات الصغيرة للمنازل والحديقة الجافة، والحدائق الصخرية والمائية. أما الحدائق الإسلامية فيطلق عليها الحدائق العربية الإسبانية، فإسبانيا تعتبر همزة الوصل ما بين أوروبا وما بين الشرق الأوسط خلال العصور

الإشورية في محاكاة لحدائق القدامى المصريين، حيث نقل الملك "أشور" معه إلى بلاده طراز حدائق مصر الفرعونية عندما غزاها في القرن السابع قبل الميلاد. والحدائق الإغريقية يطلق عليها حدائق الفلاسفة لأزهارها في عهد الفلاسفة الإغريق القدامى الذين أكسبوا هذه الحدائق طابعاً جديداً. فكانت الحدائق الإغريقية مصدراً لخدمة أساسيات الإنسان وفكره بدلاً من اقتصرها على إنتاج الغذاء أو الترفيه أو الغرض الديني منها. وكان الغرض من إنشاء الحدائق الصينية هو التأمل للفلاسفة والمفكرين ليصبحوا في عزلة عن الناس، إذا جاء تصميمها يساعد على هذا التأمل وطول التمتع بالمنظر الذي يقع عليه البصر، والحدائق اليابانية في العصور الوسطى تجمع بين الأشكال الطبيعية والأشكال الهندسية وتتميز بوجود ثلاثة أشكال هي: الحدائق المنبسطة التي تستخدم في المساحات الصغيرة للمنازل والحديقة الجافة، والحدائق الصخرية والمائية. أما الحدائق الإسلامية فيطلق عليها الحدائق العربية الإسبانية، فإسبانيا تعتبر همزة الوصل ما بين أوروبا وما بين الشرق الأوسط خلال العصور

"تصنع" الحدائق العراقية على وفق تامل معماري هندسي فني يؤسس لمنظومة جمالية تبث البهجة والمعرفة معا ؟ الإرتشيف الوحيد يشير إلى اهتمام العراقيين القدماء بزراعة الحدائق منذ القدم ، فقد اشتهر الملك سنحاريب ملك الآشوريين في شمال العراق بتنظيم الحدائق العامة للناس قرب مدينة نينوى . فيما عرف الملك نبوخذ نصر بانشاء الجنائن المعلقة في مدينة بابل وهي إحدى عجائب الدنيا السبع، التي بناها الملكة أمبيها التي كانت تتشوق لحدائق وطنها مديدا وبنيت تقريبا سنة ٦٠٠ ق م في بابل في العراق الحالي، وهذه الحدائق المعلقة زرع فيها جميع أنواع الأشجار والخضراوات والفواكه والزهور التي تظل منمرة طيلة العام وذلك بسبب تواجد الأشجار الصيفية والشتوية ...

#### الزوراء والأمة

هذا ما تركه لنا التاريخ الحدائقي العراقي على مر العصور حديقة واحدة اختصرت النظام التقني الهندسي المعماري الجمالي وبقي لغزا إلى الوقت الحاضر ! في العصر الحديث تشير تشوشات إرشيفية أربعينية وخمسينية إلى أن بغداد كانت تفرش أزهارها على الأرصفة والحدائق الصغيرة ، عدا البيوت المزهرة بكل ما هو شدي وعبق ، وكانت المساحات الرئيسية عبارة عن بسط خضراء تنمهي مع الذوق البغدادي الطامع في تجلياته الاجتماعية المنفتحة ، ويوم كانت بغداد امتدادا لعصور الجمال والتنظيم والوحدات الاجتماعية التي تجري على وفق نظام أخلاقي غاية في الترتيب ، وحتى العصر الأحدث لم تكن حديقة الزوراء سوى تركة من معسكر الوشاش ولم تكن هندستها مصممة على أساس أنها حديقة حيوانات أو حديقة ترفيهية ، بل كانت عقوبة في تصميمها عندما كانت معسكراً للجيش ، وعندما شرعت أمانة عاصمة بغداد بتحويلها إلى حديقة حيوانات لم تكن هناك خطة لأن تكون كذلك ، وحتى الحيوانات المفترسة كانت عبارة عن هدايا لرؤساء دول زاروا بغداد ، بمعنى أن مثل هذه الحدائق هي حدائق جاءت من التاريخ القريب لا كونها حدائق إنما هي مجمع أشجار كان الجيش يتخذها مقرات خلفية له ، فتنظيم الحدائق فن عالمي رافق الإنسان منذ القدم عندما كان يبحث عن الجمال في الطبيعة ، إلا أن حدائقنا تعاكست مع هذه الطبيعة المنطقية تماما ، ففتشكلت من ذاتية مفردة قادها مهندسون أو متهرة ينقصهم الكثير من الخيال ، ولولا نصب الحرية لجواد سليم لما عُرفت حديقة الأمة أساسا ، فبحيرة البط التي كانت تملأ حديقة (غازي) وتسد جوا كبيرا من الأفتان المأثرين، تحولت إلى مجمع للسكاري لاحقا ؛ ولولا تاريخية نصب الحرية لتحول هو الآخر إلى مجرد مجموعة (أصنام) تمثل مواقع مكانة الذي انفرط اجتماعيا بسبب تقلبات سياسية واجتماعية عصفت بالبلاد منذ خمسين عاما تقريبا ، لذلك فنحن ننفكر في علمية الحدائق من الجوانب كلها ، وإلى هندستها المعمارية وإلى خيال فني يمكن أن يرتقي بهذا النوع الجمالي إلى أمكنة خلاصة كفية بتحقيق المتعة المطلوبة .

#### وارد بدر السالم

الطبيعة عشق . والعشق رؤية ورؤيا . وما بينهما خلق لا نهائي من الجمال ، يبدأ من وردة صغيرة وقطرة ماء وعبق شدي ولا ينتهي باليساتين الفسيحة ولا الحدائق الخضراء ، فالطبيعة تبث مؤثراتها النفسية والروحية على الكائنات بمناظرها الخلاصة وروانها العبقرة وصورها النضرة ؛ فترسم ملحة عشق كبيرة قوامها الرؤية التي تفتح الشهية للحياة والرؤيا في استخدام الوصف الجمالي لعلاقات الأشياء بعضها ببعض . والحدائق مقاطع مترفة من الطبيعة مهما صغرت أو كبرت . أشجار وزهور واغصان وشذى ودوال واعشاب وطيور وخمائل وسواييط مزرکشة بنور الشمس وكروم ورائحة وأوراد وأوراق ومياه وعصافير وأجنحة وريش ورفرفة وزرققة وهدليل وناظورات وريحان ورذاذ وهواء نقي وطلع ونخل وعنب ورومان وأكاسيا وجوري وتيلك ورازقي وجهنمي وسوسن وقرنفل وبنفسج وبرتقال وارجوان وبيبلسان وعُضْران وخزامي وفتناع ونرددين ... وكل المسميات التي تحفل الطبيعة بها وتحميها .

#### أثار الحدائق

دائماً يبقى التاريخ مصدراً لعلاقة الإنسان بالطبيعة ، كي تكون الطبيعة مصدر جمال أثير ومتعة فريدة . وعندما بدأ الإنسان علاقته بالطبيعة سجل له التاريخ خطوات طويلة في الحفاظ على مفردات الطبيعة والاتصال بها ، وهكذا كانت ثمة أنظمة تاريخية مختلفة للحدائق . وكانت لها حضارة خضراء على مر العهود والعصور ، وعنها البعض فناً عثر عن النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في فترات مختلفة من حياة البشرية ؛ فالآثار الفرعونية المتبقية كشفت عن اهتمام المصريين القدامى وعنايتهم بمختلف الفنون وحفقت حدائقهم بلمسات فريدة من الجمال ، وقد قام ملوكهم بإرسال البعثات إلى الأقطار المجاورة لاستيراد نباتات غير موجودة بمصر من قبل وأظهروا اهتمامهم بالنباتات بما هو واضح على آثارهم من زهار اللوتس والبردي واوراق الخليل ، وتمتيز الحدائق الفرعونية بالهندسة المتناظرة وانها مكشوفة يتوسطها حوض ماء مستطيل الشكل يحف به نبات اللوتس والشجيرات القصيرة من الدلى والياسمين ، ومن أمثلة حديقة مور الفرعونية ، ومن أقدم الحدائق الصينية حديقة ليانغوان واسمها القديم تشيونشينغ تساو تانغ، بيتها أسرة ليانغ بنمطلة شيونده خلال أربعين عاما في فترة أسرة تشينغ. توزيع النباتات دقيق، تتداخل البيوت والمعبد والحدائق في بعضها البعض كوحدة متكاملة، والمناظر الصناعية فيها ذات نوق رفيع، تتميز بأسلوب المناطق المائية المنطقية ليبتغان في مقلعة قوانغدونغ.

#### الحدائق البغدادية .. الجنائن المعلقة

هل هناك تاريخ للحدائق العراقية ؛ بمعنى هل ثمة إرتشيف قديم يعيننا كي نقف على مفترقات جمالية في

دائماً يبقى التاريخ مصدراً لعلاقة الإنسان بالطبيعة ، كي تكون الطبيعة مصدر جمال أثير ومتعة فريدة . وعندما بدأ الإنسان علاقته بالطبيعة سجل له التاريخ خطوات طويلة في الحفاظ على مفردات الطبيعة والاتصال بها

بتصميم أساسي . وإذا كان "تيودور" هو رائد الحدائق المتناظرة فقد جاء "فانبرو" لكي يكون رائد الحدائق الطبيعية والذي قام بتصميم حدائق قلعة هوارد الطبيعية . ثم جاء التصميم "برلينجتون" الذي استخدم الحدائق الطبيعية المنزلية ونشرها بين أصدقائه والتي كان يغلب عليها الطرز غير المنتظمة بين الزروع وفي أماكن غير منتظمة .

#### الحدائق المغولية في الهند وغيرها

أنخل المغول في حدائق الهند الطراز الفارسي عليها وكان طراز الحدائق الهندية أو المغولية قد أنشئ حول القصور وحول المقابر وليس في وسطها كما هو متعارف عليه، كانت الأشجار الغالبة في الاستخدام والتي تحيط بالحدائق في صفوف ومسافات متساوية هي أشجار السرو بالإضافة إلى أشجار الفاكهة والنباتات العطرية ، أما الحدائق الإيطالية فقد ظهرت في عصر النهضة امتداداً للحدائق الرومانية القديمة، ومن أشهر الأمثلة على الحضارة الحدائق الإيطالية حديقة فيلالانت للمهندس "فيجنولا" التي صممها عام ١٥٦٤ . بلمسات من فن النحت والزخرفة ووضعت التماثل في أماكن ظاهرة بالحدائق. بوجود عنصر الماء الذي يربط بين أجزاء الحدائق، واستخدام النظام الهندسي الذي كان يغلب عليه وجود التراسات المتتالية. على أن الحدائق الفرنسية الأرستقراطية قد سميت بهذا الاسم لأن المجتمع الفرنسي التف حول الملك وحاشيته وظهرت عليه معالم الحكمة والسر والتهنير والعلم السدي انعكس في كل شيء في حياتهم وخاصة في نظام حدائقهم التي كانت مسرحاً يعكس حياتهم المليئة بالعظمة والتي كانت تقام عليها حفلات



عمارة بابل لم تتكرر بعد

و تستعين بعنات المعماريين والمهندسين من ذوي الخيال الجامح لتحويل الزوراء على سبيل المثال إلى واحة عملاقة من الجمال ، لاسيما وأن الكثير من عناصر الحدائق المثالية متوفرة فيها ، وأن تستقر الفسحة الكبيرة بين جدارية فائق حسن ونصب الحرية لجواد سليم وتخلق منها واحة ثانية من الجمال ، بدل أن تبقى مكاناً للسكاري وبيع الأفلام الإباحية وترويج المخدرات وما إلى ذلك ...!

#### طرفة في تصميم الحدائق الفرنسية

المصمم "أندريه لينيوت" أحدث طرفة في فن الحدائق في الفترة ما بين ١٦٥٦ إلى ١٦٦١ والذي اتبع ثلاثة مبادئ في تصميماته

الشمس الساطعة. كما بدأت الاستعانة بعناصر جديدة في إنشاء الحدائق بعيداً عن أشكال الحجر المنحوت مثل الخشب والخرسانة والمعادن والزجاج الذي خرج في أشكال جديدة حيوية.

#### الحدائق الصينية

ويمكن تقسيم الحدائق الصينية من الناحية المعنوية هي الحدائق التي تجسد الأفكار التي تكو نفو شو سية الداعية إلى الواقعية والمسؤولية

في نيودلهي حديقة الالف وردة وفيها نوع من الورد اسمه كلاديولا له اربعة الوان واربعة انواع من العطور كلها تحمل اسم كلاديولا